واضح الدليل والبرهان
في الرد على القائلين بخلق القرآن

لأبي المعالي محمد بن علي الوفائي الشافعي

تحقيق وتعليق

د/ ناصر بن عبدالرحمن بن محمد الجديع

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

في كلية أصول الدين بالرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

Scanned by CamScanner

ولما كانت لهم دولة امتحنوا علماء المسلمين، ودعوهم إلى القول بخلق القرآن الكريم قهراً، وعرّضوهم للأذى والقتل.

وقد هبّ أئمة أهل السنة وعلماؤهم للرد على هذه الفرية والتصدي لها، فألّفوا المؤلفات، وعقدوا المناظرات في القرآن الكريم مع أهل البدع لإقامة الحجة عليهم، ودحض شبههم.

بل إنه اشتهر عن أئمة أهل السنة تكفير من قال: القرآن مخلوق[1].

ومن أشهر المؤلفات لأهل السنة التي اختصت بالرد على من زعم أن القرآن الكريم مخلوق:

١- كتاب الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن لعبد العزيز الكناني رحمه الله (ت٢١٨هـ).

٢- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة رحمه الله (ت٢٧٦هـ).

٣- رسالة في أن القرآن غير مخلوق للإمام إبراهيم الحربي رحمه الله

=وكتاب حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة لابن قدامة ص٤٧، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/١٧٢ فما بعدها، وغيرها.

(١) انظر كتاب خلق أفعال العباد للإمام البخاري ص٢٩ فما بعدها، وكتاب الشريعة للإمام الآجرّي ١/٤٨٩ فما بعدها، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي ٢/٣١٣ـ ٣٢٩، ورسالة السجزي إلى أهل زبيد للإمام أبي نصر السجزي ص١٠٦، وحكاية المناظرة في القرآن للإمام ابن قدامة ص١٩، ٢٠، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٢/٥٠٦، وغيرها.

Scanned by CamScanner

(ت٢٨٥هـ).

٤- الرد على من يقول القرآن مخلوق لابن النجاد الحنبلي رحمه الله (ت٣٤٨هـ).

٥- حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة لابن قدامة رحمه الله (ت٦٢٠هـ).

ومن أشهر المناظرات لعلماء أهل السنة التي جرت مع المخالفين في هذه المسألة:

١- مناظرة بين الإمام الشافعي رحمه الله وحفص الفرد [١].

٢- ومناظرة الإمام عبد العزيز الكناني رحمه الله لبشر المريسي [٢].

٣- ومناظرة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لابن أبي دؤاد وأصحابه [٣].

٤- ومناظرة الإمام ابن قدامة رحمه الله لأحد المبتدعة [٤].

ومن الذين كانت لهم مشاركة في مناقشة من قال بخلق القرآن الكريم الشيخ أبو المعالي محمد بن علي الوفائي الشافعي رحمه الله ــ من علماء القرن العاشر ــ فإن له كتاباً بعنوان: (واضح الدليل والبرهان في الرد على القائلين

---

(١) انظر آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم الرازي ص١٩٤، ١٩٥.

(٢) انظر كتاب الحيدة والاعتذار للكناني.

(٣) انظر ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله حنبل بن إسحاق، الإبانة لابن بطة ٢/٢٤٩ ــ ٢٦٨.

(٤) انظر حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة لابن قدامة.

Scanned by CamScanner

بخلق القرآن).

وقد وقفت على نسخة خطية لهذا الكتاب بفضل الله تعالى، فعقدت العزم على تحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه لما يأتي:

١- أن موضوع هذا الكتاب يتعلق بأصل من الأصول العقدية الهامة، وهو إثبات الصفات لله عز وجل.

٢- أن في تحقيق هذا الكتاب وإخراجه إيضاحاً لمذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة الجليلة، ودحضاً لتلبيسات أهل البدع الذين لا يزال لهم وجود.

٣- أن هذا الكتاب لم يحقق من قبل ــ حسب علمي ــ.

منهجي في التحقيق:

سلكت في تحقيق هذا الكتاب المنهج الآتي:

١- كتابة نص المخطوطة وفق الكتابة الحديثة، مع تصحيح ما يوجد من الأخطاء اللغوية، والالتزام بعلامات الترقيم.

٢- الخطأ يُصوب في المتن ويُنبه عليه في الحاشية.

٣- الزيادة على الأصل المخطوط ــ مما لابد منه ــ توضع بين حاصرتين هكذا [ ].

٤- الإفادة من كتاب (الحيدة للكناني) [١] في تصويب أو ترجيح بعض ألفاظ المخطوطة، وذلك في مواضع قليلة.

٥- القيام بالأمور الأخرى المعتادة في التحقيق، مثل عزو الآيات القرآنية

---

(١) وذلك أن المؤلف الوفائي قد اقتبس من هذا الكتاب نصوص المناظرة، كما سيأتي بيانه.

Scanned by CamScanner

إلى مواضعها من القرآن الكريم، والتعريف بالأماكن الغريبة، وشرح الألفاظ الغريبة، ونحو ذلك.

٦- التعليق في الحاشية على ما يحتاج إلى ذلك.

وبعد هذه المقدمة وضعت تمهيداً يتضمن التعريف بـــالمؤلف وبالكتـــاب، ويلي ذلك تحقيق الكتاب، وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد إنه سميع مجيب.

Scanned by CamScanner

أولاً: ترجمة المؤلف:

١) نسبه:

هو أبو المعالي محمد بن علي بن رمضان الطوخي الوفائي الشافعي[١].

٢) حياته:

لم أقف على ترجمة مدونة للمؤلف رحمه الله بعد البحث في مظانها.

والذي يمكن استخلاصه عن حياته من خلال كتابه ما يأتي:

- أنه من سكان القدس، وسافر إلى القاهرة.
- تولى قضاء الشافعية بالقدس، وفي هذا دلالة على أهليته ومنزلته العلمية.
- جرت محاورة علمية سريعة في القدس بينه وبين أحد علماء الزيدية، كما جرت أيضاً محاورة علمية أخرى في القاهرة بينه وبين أحد علماء اليهود، وهذا له دلالة واضحة على مكانته العلمية عند الناس.

٣) شيوخه:

١ــ الشيخ زكريا بن محمد بن أحمد أبويحيى الأنصاري المصري الشافعي القاضي المفسر المحدث الذي أخذ أنواع العلوم عن شيوخ عصره،

---

(١) هذا النسب أثبته المؤلف نفسه في آخر الكتاب.

Scanned by CamScanner

وأقبل على نفع الناس إقراءً وإفتاءً وتصنيفاً، المتوفى سنة ٩٢٦هـ[١]، رحمه الله.

وقد قرَّض الشيخ زكريا كتاب المؤلف أبي المعالي الوفائي (واضح الدليل..) [٢].

ومما قاله مثنياً على الكتاب: (وقفت على هذا المؤلَّف المنيف.. فوجدت مؤلِّفه أيده الله قد حرر وحقَّق، وهذَّب ودقَّق، وأمعن فأفاد، وأوضح فأجاد).

وقال عن مؤلفه: (وقد لازمني مدة مديدة ــ منحه الله توفيقه وتسديده ــ في الفقه وغيره).

ثم قال: (وأجزت له ــ جعلنا الله وإياه من العلماء العاملين ــ أن يقيِّد ويروي عني ما يجوز لي وعني إفادته وروايته).

فأبو المعالي الوفائي له صلة وثيقة بشيخه الأنصاري، ولعله من أبرز مشايخه.

٢ــ الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمد بن مقبل أبو الفتح الخطيب الوفائي المقدسي الشافعي العلامة واعظ دمشق في أيامه، وصاحب المصنفات العديدة، المتوفى سنة ٩٣٧هـ [٣]، رحمه الله.

---

(١) انظر الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للغزي ١٩٦/١، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ١٣٤/٨، الأعلام للزركلي ٤٦/٣.

(٢) انظر ورقة ٢٢٣ (بعد نهاية المخطوط).

(٣) انظر الكواكب السائرة ٢٠/٢، شذرات الذهب ٢٢٤/٨، الأعلام ٣٠٢/٥، فهرس مجاميع المدرسة العمرية في دار الكتب الظاهرية بدمشق ص٤٠.

Scanned by CamScanner

وقد أثنى أبو المعالي الوفائي على شيخه هذا في أول كتابه (واضح الدليل..) ــ بعد العنوان مباشرة ــ عارضاً عليه هذا الكتاب طالباً منه تقويمه[1].

٣ــ الشيخ إبراهيم بن محمد بن أبي بكر أبو إسحاق برهان الدين المعروف بابن أبي شريف المقدسي المصري الشافعي العلامة المحقق الفقيه المحدث، صاحب التصانيف، المتوفى سنة ٩٢٣هـ [2]، رحمه الله تعالى.

وقد قرَّض الشيخ ابن أبي شريف كتاب المؤلف أبي المعالي الوفائي (واضح الدليل..) مثنياً على المؤلف وعلى كتابه [3].

ومما قاله: (وقفت على ما وُفق له جامعه.. كم أوضح فيه دليلاً عاد به المبتدع ذليلاً، اتبع في الجدل واضحه وحسنه..نفعه الله بالعلم والعمل).

هذا ما تيسر من معرفة شيوخه.

٤) مؤلفاتـــه:

١ــ من مؤلفاته هذا الكتاب (واضح الدليل والبرهان في الرد على القائلين بخلق القرآن) وسيأتي التعريف به قريباً.

٢ــ حزب العطا وكشف الغطا.

---

(١) انظر ورقة ١ (ب) من المخطوط.

(٢) انظر الكواكب السائرة ١٠٢/١، شذرات الذهب ١١٨/٨، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ٢٤/١، الأعلام ٦٦/١.

(٣) انظر ورقة ٢٢٣ (ب)، ٢٢٤ (أ) (بعد نهاية المخطوط).

Scanned by CamScanner

وهو مخطوط صغير الحجم جداً[1]، وهو مجموعة أدعية مسجوعة، بعضها من إنشاء المؤلف وبعضها من اختياره.

وهذا ما وقفت عليه من مصنفاته.

٥) عقيدته ومذهبه:

الذي يظهر لي من خلال كتابه (واضح الدليل..) وطريقة مناقشته لشبهات الخصوم أنه من أهل السنة في الجملة، وهو رحمه الله لم يسلم من بعض الملحوظات العقدية ــ التي نبهت عليها في موضعها ــ وربما أنه قد تأثر ببعض شيوخه الذين جمعوا بين التصوف وعلم الكلام الأشعري، حيث كان هذا سائداً في ذلك العصر.

أما مذهبه الفقهي فهو على المذهب الشافعي، كما نص عليه هو في عنوان الكتاب وخاتمته، وكما أنه قد تولى قضاء الشافعية بالقدس، كما تقدم.

٦) وفاته:

لم أقف على معرفة تاريخ وفاة المؤلف رحمه الله.

والمقصود أن المؤلف قد عاش في النصف الثاني من القرن التاسع[2] ــ تقريباً ــ وعاش أيضاً زمناً من القرن العاشر، فكان حياً سنة ٩١٢هـ [3]، والله أعلم بتاريخ وفاته رحمه الله تعالى.

---

(١) كتبه المؤلف بخطه بعد نهاية كتابه (واضح الدليل..) انظر ورقة ٢٢١(ب) ــ ٢٢٣ (أ).

(٢) حيث كان السؤال الموجه إلى المؤلف سنة ٨٧٧هـ (أثبت ذلك في أول الكتاب).

(٣) يدل على ذلك تاريخ التقاريظ المؤرخة لعدد من الشيوخ لكتاب المؤلف (انظر ورقة ٢٢٣ =

Scanned by CamScanner

ثانياً: التعريف بالكتاب:

١- اسم الكتاب وتوثيق نسبته إلى المؤلف:

عنوان الكتاب مثبت على الصفحة الأولى منه وهو: (واضح الدليل والبرهان في الرد على القائلين بخلق القرآن).

ولا شك في نسبة هذا الكتاب إلى المؤلف أبي المعالي الوفائي رحمه الله حيث جاء التصريح بذلك في الصفحة الأولى من الأصل المخطوط (عنوان الكتاب) وكذا في الصفحة الأخيرة منه.

كما يدل على ذلك أيضاً التقاريظ والإجازات المثبتة بعد نهاية الأصل المخطوط [١].

ونسب هذا الكتاب إلى المؤلف في أحد الكتب التي تعتني بجمع أسماء المؤلفات [٢].

٢- تاريخ تأليفه:

لقد نص المؤلف على ذلك في أول الكتاب وفي آخره، فأرخ تأليفه في مستهل شهر رجب سنة ٩٠٩هـ بالمسجد الأقصى.

=(ب)، ٢٢٤ (أ).

(١) انظر ورقة ٢٢٣، ٢٢٤ (أ).

(٢) انظر ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل باشا ٦٩٩/٤.

Scanned by CamScanner

٣- سبب تأليف الكتاب وموضوعه:

لقد ذكر المؤلف رحمه الله في مقدمة كتابه ما جرى بينه وبين أحد علماء الزيدية من محاورة سريعة حول القرآن الكريم، ثم ذكر محاورة أخرى جرت بينه وبين أحد علماء اليهود حول القول بالنسخ، حيث أنكره اليهودي بدعوى البداء.

فكان ذلك سبباً في تأليف هذا الكتاب للرد على القائلين بخلق القرآن الكريم، مع التعرض للرد على منكري علم الله تعالى.

وفي عنوان الكتاب دلالة على موضوعه.

٤- منهج المؤلف في الكتاب، وتقويم الكتاب:

بعد التأمل في هذا الكتاب فإن الحقيقة والواقع أن المؤلف رحمه الله قد استخلص مادته في مناقشاته في هذا الكتاب لمن قال بخلق القرآن الكريم من كتاب (الحيدة) المشهور للإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني رحمه الله (المتوفى سنة ٢٤٠هـ) ــ الذي جرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن الكريم عند الخليفة المأمون ــ مع العلم أنه لم يشر إلى ذلك مطلقاً!

ويمكن أن يقال عن هذا الكتاب (واضح الدليل والبرهان في الرد على القائلين بخلق القرآن) إنه مختصر كتاب (الحيدة) مع اختلاف مقدمته، وتصرف مؤلفه في سياق عرض الشبه والردود بما يلائم طبيعة هذا الكتاب.

وقد بدأه المؤلف بالمقدمة التي ذكر فيها سبب التأليف، ثم شرع في الرد الذي جعله في فصلين، والفصل الأول يشتمل على ثلاثة مقاصد، ثم الخاتمة مصرحاً بأن هذا الرد سيكون على وجه الإيجاز.

وقد غلب على الردود في الفصل الأول الاستدلال بالقرآن الكريم، بينما

Scanned by CamScanner

اقتصر الرد في الفصل الثاني على الاستدلال العقلي.

وهذا الكتاب سهل الأسلوب، ويميل المؤلف فيه إلى استعمال السجع، وهذا واضح في عنوان الكتاب ومقدمته وخاتمته.

وعلى أي حال فهذا الكتاب على صغر حجمه له قيمة علمية من حيث موضوعه ومضمونه، وإن كان لا يخلو من بعض الهفوات التي حصل التنبيه عليها.

٥-التعريف بالنسخة المخطوطة للكتاب:

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسخة واحدة وفريدة، حيث إن الناسخ هو المؤلف نفسه، نسخها في مستهل رجب سنة ٩٠٩هـ.

وهذه النسخة موجودة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع رقم: (٣٧٤٥ـ ٨ ـ)، تبدأ من ورقة ٢١١(ب)، وتنتهي في ورقة ٢٢١(ب).

وقد حصلت على صورة من هذه النسخة من المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، والموجودة فيها برقم (١٤/١١٣٢/ف).

ومتوسط عدد الأسطر في كل صفحة ١٢ سطراً، وفي كل سطر عشر كلمات تقريباً.

وهذه النسخة المخطوطة كتبت بخط نسخ مقروء، قليل الإعجام.

Scanned by CamScanner

وقف الملا عثمان الكردي

واضح الدليل والبرهان في
الرد على القائلين بخلق القرآن
تأليف كاشف الغطاء
محمد الوفائي
[illegible]
بالعدد

حررت بيد العبد الفقير صاحب الصفات الحسنة والأفعال
الحميدة العالم العامل أبو المعالي محمد الحطاب الوفائي عرف بالمعيد الإحساني عفى عنهما ربهما
فصالة وفواصلها صلاحية سبح الله وأجله وأجله فالحمد لله وحده

فصلاة الله سبحانه ومنه على محمد وآله
الغر من العلم والعمل الذي يصل الله تعالى
على كل مؤمل وآمل محمد أبو المعالي بن
علي بن رمضان الطوخي الوفائي إلى آخر
المزيدي خادم الشرع الشريف بالعدد
المنيف في شهر شهر رجب المرجب الفرد
الحرام من سنة تسع وستمائة بالمسجد الأقصى
الذي فضائله لا تكاد تعد ولا تحصى والحمد لله
وحده والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

حسبنا الله ونعم الوكيل

Scanned by CamScanner

هل هي شيء أم لا فلو كان أمرا عاما من غير جواب فانتفض لمن حضر الالزام
فحمدت الله على ذلك ومثل ذلك ما وقع لي بالقاهرة بعد في سنة
ثمان وتسعماية ان بعض احبار اليهود انكر القول بالنسخ استحالة
البداء وانكر وقوعه فعلمنا والتمس جوابا غير ما قيل له من
البسط بطريقه الطبيب فالهمت ايضا ان قلت له هل كانت
الاخت تحل لاخيها قبل بعثة الكليم صلى الله عليه وسلم من آدم
الى ان ورد نسخة عند كثرة النسل فبهت الذي كفر والى
قيل انما نمنع الحجة فاتيلا الاجواب لهم عن ذلك ولما انعم الراد
على بعضنا ان نعهد بالتدريس عن تاليف شيء في الرد
على من حاد عن طريق الرشاد وقال بخلق القرآن مع التعرض
للرد على الجهمي والقدري انكار علم الله قلت فاستعنت الله تعالى وجعلت
ذلك في فصلين وخاتمة يحلى وجه الايجاز فصل في الرد على من قال
بخلق القرآن ويشتمل على ثلاثة مقاصد المقصد الاول في ابطال قوله ان القرآن
سمي بالشيء دعوى وحوله في عموم لفظة شيء الاية في قوله تعالى الله
خالق

خالق كل شيء وان ذلك عام كلما سوى الله تعالى عموما
يدخل فيه كلام الله وقوله وامره وعلمه وفيه البرهان على
ان القرآن ليس شيئا كالاشياء وانه خارج من ذلك العموم الذي تضمنه المقصد
الثاني في اثبات ان لله علما غير داخل في مسمى الشيء وانه
خارج عن الاشياء وان له نفسا كذلك المقصد الثالث
في رد قول الملحد بأن القرآن مخلوق ورد استدلاله
على ذلك بقوله تعالى جعلناه قرانا عربيا ورد دعواه
ان الجعل لا معنى له الا الخلق الفصل الثاني في الرد
عليه وابطال مذهبه من حيث النظر والعقل والخاتمة
في الرد على الجهمي والقدري انكارهما ان الله تعالى علم
ما يكون قبل ان يكون وانه تعالى قد علم ما لم يكن ولا يكون
ان لو كان كيف كان يكون فالمقصد الاول اذا قال
الملحد القرآن شيء ام غير شيء يقال له ان كنت تريد انه

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله المتكلم بكلام قديم أزليّ [1]، قبل وجود الحروف والأصوات[2]، العليم الذي بعلمه يعلم ما كان وما يكون مما هو آت،

---

(١) قال الجوهري: (الأزل: القِدم: يقال: أزلي، وذكر بعض أهل العلم أن أصل هذه الكلمة قولهم للقديم: لم يزل، ثم نسب إلى هذا فلم يستقم إلا باختصار فقالوا: يزلي، ثم أبدلت الياء ألفاً لأنها أخف فقالوا: أزلي) [الصحاح ٤/١٦٦٢].

أما وصف المؤلف – رحمه الله – لكلام الله تعالى بالقديم ففيه نظر.

علق الشيخ عبدالله أبا بطين – رحمه الله – على قول السفاريني – رحمه الله – في (لوامع الأنوار البهية ١/١٣٠): (كلامه سبحانه قديم) بقوله: (قوله إن مذهب السلف أن كلام الله قديم وكذلك القرآن فيه نظر، فإن مذهب السلف كما هو معروف أن كلام الله مما يتعلق بمشيئته فإذا شاء تكلم، ويتكلم متى شاء كيف يشاء بلا كيف) ثم نقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه التسعينية (٢/ ٦١٢): (الوجه الثاني: أن أحداً من السلف والأئمة لم يقل إن القرآن قديم وأنه لا يتعلق بمشيئته وقدرته).

كما علق أيضاً الشيخ سليمان بن سحمان – رحمه الله – على قول السفاريني السابق (في لوامع الأنوار ١/١٣١) بقوله: (هو من جنس ما قبله من الألفاظ المبتدعة المخترعة التي لم ينطق بها سلف الأمة وأئمتها، والذي عليه أهل السنة والجماعة المخالفون لأهل البدع أن كلام الله سبحانه وتعالى حادث الآحاد قديم النوع، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته إذا شاء).

(٢) الذي يظهر من قول المؤلف – رحمه الله – أن كلام الله تعالى بدون حرف ولا صوت.

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت، ولا يقتضي ذلك أن يكون كلام الله تعالى ككلام البشر تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فإن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من

Scanned by CamScanner

وما لم يكن ولا يكون أن لو كان كيف يكون، وما تكنُّه الصدور من الخطرات[1]، السميع البصير، الذي يسمع دبيب النملة في حالك الظلمات[2]، الحي، القادر على إفناء الموجودات وإيجاد المعدومات [3]،

=الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة من أن الله ينادي بصوت، وأن القرآن كلامه، تكلم به بحرف وصوت، ليس منه شيء كلاماً لغيره، لا جبريل ولا غيره، وأن العباد يقرؤونه بأصوات أنفسهم وأفعالهم، فالصوت المسموع من العبد صوت القارئ والكلام كلام البارئ) إلى أن قال: (وقد علم أن عدم الفرق والمباينة بين الخالق وصفاته والمخلوق وصفاته خطأ وضلال، لم يذهب إليه أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هم متفقون على التمييز بين صوت الرب وصوت العبد) مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٨٤، ٥٨٥ وأما الأدلة من الكتاب والسنة على أن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت فيمكن لمعرفتها الرجوع إلى كتاب حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة للإمام ابن قدامة ص٣٧- ٤٣، وكتاب لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/١٤٠- ١٤٥، وكتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبدالله بن يوسف الجديع ص١٥٧- ١٧٠، وغيرها .

(١) قال الله تعالى: "يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ" [سورة غافر: ١٩].

(٢) لا ريب أن سمع الله تعالى محيط بجميع الأصوات، وقد أخبرنا سبحانه شيئاً عن سعة سمعه في قوله تعالى عن المجادلة خولة بنت ثعلبة "قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١" [المجادلة: ١] قالت عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله قوله: "قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ" [أخرجه ابن ماجه في سننه ١/٦٦، والإمام أحمد في مسنده ٦/٤٦، ورواه البخاري مختصراً تعليقاً ٨/١٦٧]، وانظر نونيّة ابن القيم مع شرحها للدكتور محمد خليل هراس ٢/٦٧، ٦٨، أسماء الله الحسنى للدكتور عمر الأشقر، ص ١٢١- ١٢٦ .

(٣) قدرة الله جل وعلا ليس لها حد، قال تعالى: "وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ" [البقرة: ٢٨٤] وما شاء الله تعالى كان وحصل فلا يعجزه شيء، ومن شمول قدرة الله تعالى

Scanned by CamScanner

المريد، الباقي[1] بعد فناء كل المخلوقات.

أحمده على ما أنعم به من محكم الآيات البيِّنات، وأشكره إذ هو نعمة يجب الشكر عليها إلى الممات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلـه خلـق الخلـق، وبـسط الأرض، ورفع السموات، وأنّ محمداً عبده ورسوله، قطب دائرة الـسادات [2]،

=قدرته على أشياء لم يقدرها ولن تقع، ويدل على ذلك قوله تعالى: " وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا " [السجدة: ١٣]، وقوله: "وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ " [البقرة: ٢٥٣].

قال السفاريني – رحمه الله –: (خلاف المعلوم مقدور، ممكن باعتبار نفسه، لكنه لا يكون لعدم مشيئة الله له، وهو لا يشاؤه لما في ذلك من فوات حكمته) لوامع الأنوار البهية ١٥٣/١ .

ومن هنا فلا ينبغي إطلاق القول بأن الله قادر على إفناء الموجودات وإيجاد المعدومات – كما ذكر المصنف رحمه الله – لما في ذلك من الإيهام، فلابد مع ذلك من إضافة أنه لن يقع في هذا الكون إلا ما قدره الله تعالى.

(١) البقاء صفة ذاتية ثابتة لله تعالى كما قال عز وجل: "وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾" [الرحمن: ٢٧].

ولابد من دليل لاعتبار (الباقي) من أسماء الله تعالى، وأما التعبير عن الصفة بالفعل فلا يعني أن يشتق له اسم منها، وإن كان الإخبار به عن الله سائغاً فباب الإخبار أوسع، وفي القرآن الكريم ما يدل على هذا المعنى وزيادة، وهو قوله تعالى: ﴿والآخر﴾ [الحديد: ٣]، فإن معناه هو الذي ليس بعده شيء (من تعليق للشيخ عبدالله أبابطين على قول السفاريني: الحمد لله القديم الباقي) في (لوامع الأنوار البهية ٣٩/١)، وانظر كتاب صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السقاف ص٧٠، ٧١ .

(٢) لا ريب أن نبينا محمداً –صلى الله عليه وسلم– سيد الأولين والآخرين، كما جاء في

Scanned by CamScanner

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وحياهم بأطيب التحيات، صلاة وسلاماً دائمين ما دامت الأرض والسموات، وما بقيت الذات والأفعال والصفات.

أما بعد، فقد سألني شخص من علماء الزيدية [1] في قرية من قرى الينبوع[2] المبارك، في سنة سبع وسبعين وثمانمائة على غرّة مني عن القرآن

=الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (أنا سيد الناس يوم القيامة ...) صحيح البخاري ٢٢٥/٥ كتاب التفسير، سورة الإسراء، وصحيح مسلم ١٨٤/١ كتاب الإيمان (٣٢٧).

لكن وصف المؤلف هنا النبي –صلى الله عليه وسلم– بأنه (قطب دائرة السادات) لا يعرف عند أهل السنة والجماعة حسب علمي، والله أعلم .

(١) الزيدية: هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –. يرون الإمامة في أولاد فاطمة – رضي الله عنها – سواء كانوا من نسل الحسن أو الحسين – رضي الله عنهما –، تتلمذ زيد بن علي في الأصول على يد واصل بن عطاء رأس المعتزلة فاقتبس منه الاعتزال وصار أصحابه كلهم معتزلة، وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل، ويقول كان علي أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة، فهو يقر بالخلافة للأربعة، ولما سمعت شيعة الكوفة أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه، ثم مال بعض الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول وطعنوا في الصحابة طعن الإمامية، وهم أصناف ثلاثة: جارودية، وسليمانية وبترية. (الملل والنحل للشهرستاني ١٥٤/١– ١٥٧)، وانظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٨١/١– ٨٦ .

(٢) لعله يقصد العين المشهورة ببيت المقدس، واسمها عين سِلْوان.

قال عنها ياقوت الحموي: عين نضاخة يتبرك بها ويستشفي منها بالبيت المقدس! وسلوان محلة في ربض بيت المقدس تحتها عين عذبة تسقي جناناً عظيمة وقفها عثمان بن عفان – رضي الله عنه – على ضعفاء بيت المقدس، تحت بئر أيوب عليه السلام. معجم البلدان ٢٤١/٣ .

Scanned by CamScanner

ما هو؟ فأجبته بخلاف معتقده [1]، فقال لي: يا شافعي القرآن شيء أو ليس بشيء؟ واذكر قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [2]، ففهمت وجه الإلزام[3] على ما عنده [4]، فعظُم ذلك عليّ، ولم أكن على أهبةٍ من ذلك، فأُلهمت من فضل الله أن قلت له: يا زيدي، ما تقول في ذات الله تعالى: هل هي شيء أم لا؟ فولّى مسرعاً من غير جواب، فاتضح لمن حضر أنه أُلزم [5]، فحمدت الله على ذلك.

ومثل ذلك ما وقع لي بالقاهرة بعده في سنة ثمان وتسعمائة أنّ بعض أحبار اليهود[6] أنكر القول بالنسخ[7] .....

---

(١) أي أن المصنف – رحمه الله – أجاب الزيدي بأن القرآن الكريم غير مخلوق.

(٢) سورة الزمر، الآية (٦٢).

(٣) في الأصل (الإكرام) وهو تحريف.

(٤) أي أن السائل يريد مما عرضه من شبهته إلزام المؤلف أن يأخذ بمعتقده، وهو أن القرآن الكريم مخلوق، حيث إنه شيء والله خالق كل شيء.

(٥) حيث إنه لن يجيب بالنفي، فلن يقول: الله تعالى ليس بشيء، ولو أجاب بالإثبات لألزم، كما سيوضحه المؤلف قريباً.

(٦) أي علماء اليهود، وأصل الحبر: الأثر المستحسن، والحَبر: العالم وجمعه أحبار، لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس ومن آثار أفعالهم الحسنة المقتدى بها. انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٠٦.

(٧) النسخ لغة: الرفع والإزالة (الصحاح للجوهري ٤٣٣/١، معجم مقاييس اللغة ٤٢٤/٥).
واصطلاحاً: رفع الحكم الشرعي الثابت بخطاب متقدم بخطاب متراخ عنه.
انظر: روضة الناظر لابن قدامة ٢٨٢/١ فما بعدها، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة لمحمد بن حسين الجيزاني ص٢٥٤ فما بعدها.
وأما تفاصيل أنواع النسخ وأحكامه فمبسوطة في أصول الفقه .

Scanned by CamScanner

استحالة البداء[1]، وأنكر وقوعه قبلنا[2]، والتمس جواباً غير ما قيل له من البيطر [3] بطريقة الطبيب [4]، فألهمت أيضاً أن قلت له: هل كانت الأخت

---

(١) قال أبو محمد القيسي: (البداء ظهور رأي محدث لم يظهر من قبل، وهذا شيء يلحق البشر لجهلهم بعواقب الأمور وعلم الغيوب، والله يتعالى عن ذلك علواً كبيراً، لأنه يعلم عواقب الأمور ولا يغيب عنه شيء من علم الغيوب، فمحال أن يبدو له رأي لم يكن يبدو له قبل ذلك، هذا من صفات المخلوقين المربوبين) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه ص٩٨، ٩٩.

وبهذا يتبين أن البداء غير النسخ، كما أن النسخ لا يستلزم البداء أبداً، كما يزعم اليهود. حيث أنكروا النسخ بدعوى البداء، وحصول النسخ قد سبق في علم الله الذي لا يخفى عليه شيء، وفي قضائه المتضمن لجميع المقادير.

وانظر في الرد على اليهود في هذه المسألة كتاب الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٦٠٥/٢ فما بعدها، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١٠٠/١ فما بعدها.

(٢) لقد وقع النسخ من جهتين: الأولى: النسخ بين الشرائع السماوية.

وفي ذلك يقول ابن كثير: (شرع الله تعالى لكل رسول شريعة على حدة ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم- الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة وجعله خاتم الأنبياء كلهم) [تفسير القرآن العظيم ٦٧/٢].

والثانية: وقوعه في الشريعة الإسلامية، وقد أجمعت الأمة على جواز النسخ ووقوعه في هذه الشريعة.

انظر: المحصول في علم أصول الفقه للرازي ٤٤١/٣/١، روضة الناظر ٢٩٣/١، تفسير ابن كثير ١٥٢/١، معالم أصول الفقه ص٢٥٩، ٢٦٠.

(٣) جاء في الصحاح: بطرت الشيء أبطره بطراً: شققته، ومنه سمي البيطار، وهو المبيطِر، وربما قالوا: بَيطَر، ومعالجته البيطرة (٥٩٢/٢، ٥٩٣).

وفي القاموس: البطير: المشقوق ومعالج الدواب، كالبيطَر والبيطار والبيَطْر، وصنعته البيطرة. (ترتيب القاموس ٢٨٦/١).

(٤) يظهر أن المراد بهذه العبارة أن هذا اليهودي قد قيل له للرد على إنكاره للنسخ مما =

Scanned by CamScanner

تحلُّ لأخيها قبل بعثة الكليم[1] من لدن آدم إلى أن ورد نسخه[2] عند كثرة النسل[3]؟ فبهت الذي كفر[4] ولى قبل إتمامي[5] الحجة قائلاً: لا جواب لهم عن ذلك.

ولما أنعمت الإرادة عليَّ[6] بقضاء الشافعية بالقدس الشريف عنّ لي تأليف شيء في الرد على من حاد عن طرق الرشاد، وقال بخلق القرآن، مع التعرض للرد على الجهمي [7]

=معناه: أنّ من المعروف أنّ معالج الدواب حينما يعالج الدابة ويشق أحد أعضائها لإجراء عمل ما فإنه أحياناً يتراجع عن ذلك لما ظهر له.

وهذا قياس عقلي غير صحيح، فإنه إذا كان المخلوق قد يظهر له جهله بالشيء فإن الخالق بكل شيء عليم، ولا يخفى عليه شيء سبحانه وتعالى، وقد تقدم بيان أن النسخ في حق الله تعالى لا يعني البداء، كما قد يحصل للمخلوق.

(١) أي موسى عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: "وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا" [النساء: ١٦٤]، وقال: "وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ" [الأعراف: ١٤٣].

(٢) في الأصل المخطوط (نسخة) وهو تصحيف .

(٣) انظر – للأمثلة على النسخ في الشرائع السابقة – كتاب الفصل لابن حزم ١٠١/١، المحصول ٤٤٢/٣/١، روضة الناظر ٢٩٣/١، تفسير ابن كثير ١٥٢/١، وغيرها .

(٤) في الأصل (أو) وهو خطأ.

(٥) في الأصل (إنما في) وهو تحريف.

(٦) يشير إلى تعيينه قاضياً بالقدس من قبل المسؤول عن القضاة.

(٧) نسبة إلى الجهم بن صفوان الترمذي زعيم الجهيمة. ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلم بن أحوز بمرو في آخر ملك بني أمية، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية ونفي الرؤية، وإثبات خلق الكلام، وزاد عليهم بأشياء منها: أنه لا يجوز أن يوصف الباري بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي التشبيه، فنفى كونه حياً عالماً وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً، ويقول: إن الإنسان مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة، وإن الجنة والنار =

Scanned by CamScanner

والقدري [1] إنكار علم الله تعالى.

فاستخرت الله تعالى، وجمعت ذلك في فصلين وخاتمة، على وجه الإيجاز.

فصل: في الرد على من قال بخلق القرآن.

ويشتمل على ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: في إبطال قوله إن القرآن سمي بالشيء على الإطلاق ليمتنع عليه دعوى دخوله في عموم لفظة "شَيْءٍ" الآتية في قوله تعالى: "اَللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ" [2]، وأن ذلك عم كلّ ما سوى الله تعالى عموماً يدخل فيه كلام الله وقوله وأمره وعلمه، وفيه البرهان على أن القرآن شيء لا كالأشياء، وأنه خارج من ذلك العموم الذي زعمه الملحد.

المقصد الثاني: في إثبات أن لله علماً غير داخل في مسمى الشيء، وأنه

=تفنيان، وإن الإيمان معرفة الله، وإنه لا يتفاضل.

انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/١٥ فما بعدها، وكتاب الملل والنحل للشهرستاني ١/٨٦- ٨٨ .

(١) نسبة إلى القدرية. وهو لقب يطلق على من ينكر القدر، وقد اشتهر على فرقة المعتزلة لأنهم زعموا أن الناس يخلقون أفعالهم وليس لله فيها تقدير، كما زعم المعتزلة أن القرآن الكريم مخلوق، وقالوا بنفي الصفات الأزلية عن الله تعالى، وأنه ليس لله عز وجل علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر، وقالوا باستحالة رؤية الله عز وجل بالأبصار.

انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٩٣، ٩٤، الملل والنحل ١/٤٣ فما بعدها، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي ص٢٦، ٢٧.

(٢) سورة الزمر، الآية (٦٢).

Scanned by CamScanner

خارج عن الأشياء، وأن له نفساً كذلك.

المقصد الثالث: في رد قول الملحد بأن القرآن مخلوق، ورد استدلاله على ذلك بقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا " [1] ورد دعواه أنّ الجعل لا معنى له إلا الخلق [2].

الفصل الثاني: في الرد عليه وإبطال مذهبه من حيث النظر والعقل.

والخاتمة: في الرد على الجهمي والقدري إنكارهما أنّ الله تعالى علم ما يكون قبل أن يكون، وأنه تعالى قد علم ما لم يكن ولا يكون أن لو كان كيف يكون [3].

فالمقصد الأول: إذا [4] قال الملحد: القرآن شيء أم غير شيء؟.

يقال له: إن كنت تريد أنه شيء إثباتاً للوجود ونفياً للعدم فنعم.

وإن كنت[5] تريد[6] أنّ الشيء اسماً له وأنه كالأشياء فلا؛ لأنّ الله تعالى لم يسمِّه شيئاً كما زعمت، ولأنّ الله تعالى أجرى على كلامه ما أجراه على

---

(١) سورة الزخرف، الآية (٣).

(٢) هذه شبهة مشهورة لمن يزعم أن القرآن مخلوق، فأراد المصنف مناقشتها تبعاً للمناظرة في كتاب (الحيدة).

(٣) في الأصل زيادة (كان) قبلها، ولعل ذلك سهواً.

(٤) من هنا إلى آخر الكتاب منقول باختصار من كتاب (الحيدة) لعبدالعزيز الكناني ص٣٤-٨٧، تحقيق: د.علي الفقيهي.

(٥) في الأصل (كتب) وهو تصحيف .

(٦) في الأصل (يريد) وهو تصحيف .

Scanned by CamScanner

نفسه، فلم يتسمَّ بالشيء، ولم يجعل الشيء اسماً من أسمائه، ولا من أسماء كتابه المنزل على نبيه المرسل، ولكن دل على نفسه أنه شيء موجود أكبر [1] الأشياء، إثباتاً لوجوده تعالى، منزه عن الشبه [2] والكيف [3]، ونفياً للعدم، وتكذيباً للزنادقة[4] والدهرية[5] بقوله تعالى: "قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ "[6] ومن ثمّ بطلت دعواه العموم المتقدم ذكره.

---

(١) في الأصل (أكثر) وهو تصحيف .

(٢) أي عن تشبيه الله تعالى بالمخلوقات، قال تعالى عن نفسه: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" [الشورى: ١١].

ويذكر البغدادي أن المشبهة صنفان: صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره، وآخرون شبهوا صفاته بصفات غيره (الفرق بين الفرق ص٢١٤) .

(٣) التكييف معناه: تعيين كنه الصفة، يقال: كيّف الشيء أي جعل له كيفية معلومة، فالمكيفة هم الذين يطلبون تعيين كنه صفات البارئ، وهذا مما استأثر الله به، فلا سبيل إلى الوصول إليه (التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية للشيخ فالح بن مهدي ص٢١٣).

(٤) الزنادقة جمع زنديق وهو القائل ببقاء الدهر، فارسي معرب، وزندقة الزنديق عدم إيمانه بالآخرة ولا وحدانية الخالق، والمشهور على ألسنة الناس أن الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة الله ويقول بدوام الدهر، والعرب تعبّر عن هذا بقولهم: ملحد، أي طاعن في الأديان.

انظر: لسان العرب لابن منظور ٥١/١، المصباح المنير ٢٥٦/١.

(٥) الدهرية: فرقة إلحادية ينفون الربوبية ويحيلون الأمر والنهي والرسالة من الله تعالى، وينكرون الثواب والعقاب، وينسبون النوازل التي تنزل بهم إلى الدهر. قال الله تعالى عنهم: "وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ" [الجاثية: ٢٤].

انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٥٢، معجم ألفاظ العقيدة لعامر عبدالله فالح ص١٧٧.

(٦) سورة الأنعام، الآية (١٩).

Scanned by CamScanner

وقال تعالى: "وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ"(١)، ولم يرد ﴿الشيء﴾ في جملتها (٢).

وقال: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٣) فقوله غير مُكوَّن.

فعلم أنّ كلامه ليس كالأشياء لخروجه عنها، ومباينته لها، وتقدمه عليها، وأنّ الأشياء إنما تكون حادثة بقوله وكلامه وأمره.

وقال تعالى: "أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ "(٤) فجمع في لفظة (الخلق) جميع مخلوقاته، ثم قال "وَٱلْأَمْرُ " أي الذي كان به هذا الخلق.

فكلامه وأمره وقوله غير مخلوقاته.

ولا يقال إنها ألفاظ متباينة المعنى، فإن الله تعالى قال: "وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ"(٥) يعني القرآن.

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٨٠) .

(٢) انظر مثلاً لمعرفة ما يتعلق بأسماء الله تعالى الحسنى كتاب أسماء الله تعالى الحسنى للدكتور عبدالله بن صالح الغصن، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للدكتور محمد التيمي، أسماء الله الحسنى للدكتور عمر الأشقر.

(٣) سورة النحل، الآية (٤٠).

(٤) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

(٥) سورة التوبة، الآية (٦) .

Scanned by CamScanner

وقال: " إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ "(١) يعني القرآن(٢).

وقال: "وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ "(٣) (٤).

ثم يقال استظهارا عليه في رد القول بعموم الشيء – العموم الذي زعمه الملحد – ما يقول في قوله تعالى: "تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا "(٥) يعني الريح المرسلة على عاد، هل أبقت شيئاً لم تدمّره؟

فإن قال ببقاء العموم، يقال له: قد أكذبك الله تعالى وزيّف دعواك بقوله تعالى: "فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ "(٦) إذ المساكن أشياء كثيرة(٧).

---

(١) سورة الدخان، الآيات (٣، ٤، ٥) .

(٢) قال ابن كثير – رحمه الله – مفسراً قوله جل وعلا "أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ "أي جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه (تفسير القرآن العظيم ١٣٩/٤)، والمراد أن هذا الأمر من الله تعالى هو غير الخلق، بل إن الأشياء إنما تكون بأمره، كما قال تعالى: "إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ " [يس: ٨٢].

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٤) .

(٤) أي والله هو الصادق الذي يقول الحق وهو العدل (تفسير الطبري ١٢٠/٢١، وتفسير ابن كثير ٤٦٦/٣)، ومراد المصنف أن القول غير الخلق، فالأشياء تكون بقوله، كما قال تعالى: "وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ " [البقرة: ١١٧].

(٥) سورة الأحقاف، الآية (٢٥).

(٦) سورة الأحقاف، الآية (٢٥).

(٧) المراد إذن تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة، وما يستحق التدمير (شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١٨١/١).

Scanned by CamScanner

وإن قال: لم تعم، فقد أبطل مذهبه ورجع عن دعواه.

و[1] يقال له مثل ذلك في قوله تعالى: "مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾" [2] إذ تركت أرضاً وجبالاً.

وكذلك قوله تعالى: "وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ" [3] يعني بلقيس[4]، والحال أنها لم تؤت ملك سليمان [5]، وهو أضعاف ما أوتيته[6].

---

(١) في الأصل (أو) ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) سورة الذاريات، الآية (٤٢).

(٣) سورة النمل، الآية (٢٣).

(٤) هي بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل بن من بني يعفر من حمير، ملكة سبأ باليمن، تولت بعيد من أبيها، وقصتها مع النبي سليمان عليه الصلاة والسلام ذكرها القرآن الكريم وأنها قد أسلمت بعد أن كانت هي وقومها يعبدون الشمس من دون الله تعالى، وقد أوتيت من كل شيء مما من شأنه أن تؤتاه الملوك، ولها سرير عظيم مزخرف بأنواع الجواهر واللآليء والذهب والحلي الباهر.
انظر: قصص الأنبياء لابن كثير ص٤٤٤- ٤٤٨، الأعلام للزركلي ٧٣/٢.

(٥) قال تعالى: "وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾" [النمل: ١٦]، فكان النبي سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام يعرف ما تتخاطب به الطيور بلغاتها، وآتاه الله من كل ما يحتاج الملك إليه من العدد والآلات والجنود والجيوش وجماعات الجن والإنس والطيور والوحوش وغير ذلك. انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص٤٤٠، ٤٤١ .

(٦) المراد إذن أنها أوتيت من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام، إذ مراد الهدهد أنها ملكة كاملة في أمر الملك غير محتاجة إلى ما يكمل بها أمر ملكها (شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١٨١/١).

Scanned by CamScanner

المقصد الثاني: في إثبات أنّ لله علماً غير داخلٍ في مسمى الشيء، وأنه خارج عن الأشياء، وأنّ له نفساً كذلك.

يقال له [١]: أتقرُّ بأنّ لله علماً أم لا ؟ فإن أنكر ذلك يورد عليه قوله تعالى: "أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ "[٢]، وقوله: "وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ "[٣]، وقوله: ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ [٤]، وقوله: "وَمَا تَحْمِلُ[٥] مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ "[٦].

ولا يقبل منه دعواه أن معنى العلم أنه لا يجهل، لأن نفي السوء لا يثبت به المدحة، فقولك: هذه الاسطوانة [٧] لا تجهل، ليس فيه إثبات وصف العلم لها، ولا المدح بذلك[٨]، ولم يمدح الله تعالى في كتاب من كتبه نبياً ولا مؤمناً ولا ملكاً بنفي الجهل ليدل [٩] على إثبات العلم [١٠]، وإنما مدحهم بالعلم بنحو

---

(١) أي للمخالف في ذلك .

(٢) سورة النساء، الآية رقم (١٦٦).

(٣) سورة البقرة، الآية رقم (٢٥٥).

(٤) سورة هود، الآية رقم (١٤).

(٥) في الأصل المخطوط (يحمل) وهو خطأ .

(٦) سورة فاطر، الآية رقم (١١).

(٧) الاسطوانة: العمود والسارية (المعجم الوسيط ١٧/١).

(٨) انظر في معرفة هذه المسألة كتاب التدمرية لابن تيمية ص١٥٣ فما بعدها .

(٩) في الأصل (لتدل) ولعله تصحيف، لأن ما أثبت أنسب للسياق، وهو يوافق (كتاب الحيدة ص٤٦).

(١٠) جاء في كتاب (الحيدة للكناني ص٤٦): (فمن أثبت العلم نفى الجهل، ومن نفى الجهل =

Scanned by CamScanner

قوله تعالى: " كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ "[1]، وقوله: "إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا "[2] ويلزم من إثبات المدحة نفي السوء، ولا عكس، إلا في رأي الملحد.

فإذا تقرر ذلك و[3] أقر بأن الله علماً يقال له: إن زعمت أنّ علم الله داخل في الأشياء المخلوقة حين قال: "ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ "[4] فقد وقعت في ربقة[5] تشبيه الله تعالى بخلقه الذين أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً، إذ كل من تقدم وجوده على علمه قد ثبت عليه الجهل فيما بين وجوده وحدوثه علمه، وهذا وصف مستحيل في حق الله جل وعز، ولا يجوز إلا في حق المخلوقين، والله تعالى أجلّ [6] أن يوصف بذلك، [ومن[7] اقتحم] ذلك وافتراه

=لم يثبت العلم، وعلى الخلق جميعاً أن يثبتوا ما أثبت الله، وينفوا ما نفى الله، ويمسكوا عما أمسك الله).

(١) سورة الانفطار، الآيتان (١١، ١٢).

(٢) سورة فاطر، الآية (٢٨).

(٣) في الأصل (أو) ولعل الصواب ما أثبت .

(٤) سورة الزمر، الآية (٦٢).

(٥) الرّبقة في الأصل: عروة في حبل تُجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، والربق: الشد (ترتيب القاموس المحيط ٢/٢٩٥، لسان العرب ١٠/١١٢، ١١٣)، والمراد أن هذا المخالف قد أوقع نفسه في دائرة التشبيه .

(٦) في الأصل كأنه (أهل) وهو تحريف، وما أثبت يوافق (الحيدة ص٤٧).

(٧) ما بين الحاصرتين غير واضح في الأصل، وما أثبت أقرب إليه .

Scanned by CamScanner

حل دمه [1].

وإن رجعت عن ضلالتك وأباطيل أقاويلك [2]، واعترفت بأن لله علم وهو خارج عن الأشياء المخلوقة، وغير داخلٍ في عموم الأشياء، كما أن كل من كلامه وأمره وقوله لم يدخل في ذلك فقد انخرطت في سلك من مدحهم الله تعالى بقوله: "يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ" [3]، ونجوت من نجاسة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه.

[وإن[4] قال] الملحد لنا: ها أنتم أثبتم [5] لله علماً، واتفقنا على أنه سبحانه من صفاته أنه سميع بصير، فهل له سمع وبصر [6] كما قلتم إن له علما؟

فينبغي أن يقال له: إنّا لا نطلق هذا لذلك [7]، ولكنا لا نثبت لله إلا ما

---

(١) أي أن من وصف الله عز وجل بالجهل ولو مدة من الزمن فقد كفر، لأن مضمون ذلك إنكار صفة العلم الثابتة لله تعالى في الكتاب والسنة، لكن التكفير المعيّن وما يتبعه لا بد حتى تتحقق الشروط وتنتفي الموانع.

(٢) في الأصل (أقاوتلك) وهو تصحيف.

(٣) سورة الزمر، الآية (١٨).

(٤) ما بين الحاصرتين فيه طمس وعدم وضوح في الأصل، وما أثبت لعله أقرب إليه وأنسب للسياق.

(٥) في الأصل (أبيتم) وهو تصحيف .

(٦) في الأصل (سمعاً وبصراً) وهو خطأ .

(٧) معنى كلام المؤلف: إننا لا نطلق إثبات السمع والبصر لله تعالى لأجل اتفاقنا على أن له سميع بصير، وعلى إثبات العلم لله تعالى .

Scanned by CamScanner

أثبته[1] لنفسه، بل نمسك عما وراء ذلك، وقد أخبرنا أن له علماً، وأنه سميع بصير، فأقررنا بذلك وأثبتناه، ولم يخبرنا بأن له سمعاً وبصراً، فوقفنا وأمسكنا عن ذلك[2]،.....

---

(١) في الأصل (أبنته) وهو تصحيف .

(٢) جاء في صحيح البخاري تعليقاً (١٦٧/٨)، وسنن ابن ماجه (٦٦/١)، وسنن النسائي (١٦٧/٦)، ومسند أحمد ٤٦/٦، والمستدرك للحاكم ٤٨١/٢ بسند صحيح عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات) وفي بعض الروايات (سبحان ربي ...) فالسميع والبصير من أسماء الله تعالى الحسنى الدالة على صفتي السمع والبصر اللائقة بالله تعالى، وهذا قول أهل السنة والجماعة (راجع مثلاً كتاب رد الإمام الدارمي على المريسي ص٣٩٩ فما بعدها، كتاب التوحيد لابن خزيمة ١٠٦/١ فما بعدها، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي ٤٠٧/٣ فما بعدها).

وجاء في فتح الباري (١٣/ ٣٧٣) عند شرح قول عائشة السابق: (قال ابن بطال: غرض البخاري في هذا الباب الرد على من قال إن معنى "سميع بصير" عليم، قال: ويلزم من قال ذلك أن يسوّيه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، والأصم الذي يعلم أنّ في السماء أصواتاً ولا يسمعها.. وكونه سميعاً بصيراً يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر كما تضمن كونه عليماً أنه يعلم بعلم، ولا فرق بين إثبات كونه سميعاً بصيراً وبين كونه ذا سمع وبصر، قال: وهذا قول أهل السنة قاطبة).

والمشهور عن المعتزلة أنهم يثبتون الأسماء لله تعالى دون ما تتضمنه من الصفات، فيقولون: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، وهكذا، فهل خفي على الإمام الكناني – صاحب المناظرة التي اقتبس منها المؤلف هذه المناقشة – مذهب أهل السنة في هذه المسألة ؟ أو أن ظروف المناظرة تجعله يتحاشى فيها الدخول في دقائق المسائل التي تخفى على الحضور، وأنه أمسك مجتهداً ولم ينف الصفة، كما رجح ذلك الدكتور علي الفقيهي حفظه الله محقق كتاب الحيدة (انظر ص٤٧هـ [٤]).

Scanned by CamScanner

ولم نتعرض [١] إلى الخوض فيما تشابه، والله أعلم .

ومما يستظهر به أيضاً عليه – وفيه إثبات أن لله نفساً – أن يقال له: أتقرُّ بأن لله نفساً أم لا؟ فإن أنكر ذلك أورد عليه قوله تعالى: "وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى "[٢]، وقوله: "كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ "[٣]، وقوله: "تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ "[٤].

فإذا تقرر ذلك و[٥] أقرّ به يقال له: ما تقول في قوله تعالى: " كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ " [٦] هل عم كل الأنفس؟ كالذي يدعيه في عموم [٧] قوله تعالى: "ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ "[٨]، فتكفر في الموضعين، أو ترجع[٩] عن دعواك فيهما، أو تبين[١٠] لك فساد دعواك عموم الشيء لكل الأمثال العموم الفاسد.

---

(١) في الأصل (يتعرض) وهو تصحيف .

(٢) سورة طه، الآية (٤١).

(٣) سورة الأنعام، الآية (٥٤).

(٤) سورة المائدة، الآية (١١٦).

(٥) في الأصل (أو) ولعل الصواب ما أثبت .

(٦) سورة الأنبياء، الآية (٣٥).

(٧) في الأصل هكذا (الكعموم) وهو تحريف .

(٨) سورة الزمر، الآية (٦٢).

(٩) في الأصل (يرجع) وهو تصحيف.

(١٠) في الأصل (ثنين) وهو تصحيف، ولعل الصواب ما أثبت، ويحتمل أنها (نُبيِّن).

Scanned by CamScanner

وذلك أن يعلم أن الله تعالى أنزل القرآن على أربعة أخبار: خاصة وعامة[1].

فمنها خبر مخرجه مخرج العموم، ومعناه معنى العموم .

ومنها خبر مخرجه مخرج الخصوص، ومعناه معنى الخصوص.

فهذان خبران محكمان لا يتصرفان بإلحاد ملحد .

ومنها خبر مخرجه مخرج الخصوص، ومعناه معنى العموم.

ومنها خبر مخرجه مخرج العموم، ومعناه معنى الخصوص.

فأما الأول فقوله تعالى:"وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ " [2] فجمع الخلق والأمر.

وأما الثاني فقوله: "إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ " [3]، وقوله: " إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ[4] خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ " [5]، وكان مخرج الخبر لعيسى مخرجه مخرج الخصوص، ومعناه معنى الخصوص.

وأما الثالث الذي مخرجه مخرج الخصوص، ومعناه معنى العموم فقوله:

---

(١) انظر في هذه المسألة كتاب الرسالة للشافعي ص٥٣- ٦٢، وكتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/٢١- ٢٤.

(٢) سورة النمل، الآية (٩١).

(٣) سورة ص، الآية (٧١).

(٤) في الأصل (آدام) وهو خطأ .

(٥) سورة آل عمران، الآية (٥٩).

Scanned by CamScanner

"وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ " (١) (٢).

وأما الرابع الذي مخرجه مخرج العموم، ومعناه معنى الخصوص فقوله: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ "(٣) فعقل المؤمنون أنه لم يعن آدم وعيسى عليهما السلام في الناس الصادق بهما(٤)، لما تقدم آنفاً من الخبر الخاص فيهما، كقوله(٥) تعالى: " إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ "(٦)(٧).

---

(١) الشعرى: هو النجم الوقاد الذي يقال له مرزم الجوزاء، كانت طائفة من العرب يعبدونه (تفسير ابن كثير ٤/٢٦٠) قالوا: لأن النجوم تقطع السماء عرضاً، والشعرى طولاً فهي مخالفة لها فعبدوها (تفسير البغوي ٤/٢٥٦)، فالله تعالى رب الشعرى ورب جميع المخلوقات.

(٢) سورة النجم، الآية (٤٩).

(٣) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٤) في كتاب (الحيدة ص٥٥) ما هو أوضح: (والناس اسم يجمع آدم وعيسى ومن بينهما ومن بعدهما، فعقل المؤمنون عن الله عز وجل عند نزول هذا الخبر أنه لم يعن آدم وعيسى عليهما السلام في الناس الذين خلقهم من ذكر وأنثى لأنه قدم ذلك الخبر الخاص في آدم وعيسى عليهما السلام).

(٥) في الأصل (لقوله) وما أثبت أصوب.

(٦) سورة آل عمران، الآية (٥٩).

(٧) جاء في كتاب (الحيدة ص٥٨) في آخر هذه المسألة: (وكذلك حين ذكر الله في كتابه خبراً خاصاً فقال عز وجل: "إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾" [النحل: ٤٠] فدل على قوله باسم معرفة، وعلى الشيء باسم نكرة، فكانا شيئين مفترقين عند العرب وأهل اللغة، فقال: (إذا أردناه) ولم يقل إذا أردناهما، وقال: (أن نقول له) ولم يقل أن نقول لهما، ففرق بين القول والشيء المخلوق.. ثم قال عز وجل: "ٱللَّهُ خَٰلِقُ

Scanned by CamScanner

المقصد الثالث: في إبطال قوله: إن القرآن مخلوق، ورد استلاله على ذلك بقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا " [1] أنّ الجعل لا معنى له إلا الخلق.

يقال له: هل يكفر من زعم أن اليهود خلقوا التوراة، أو أن من بني آدم من خلق القرآن، أو أنّ الله قال لهم: لا تخلقوا الله، أو قد خلقتم الله، أو أنهم خلقوا الخلق، أو خلقوا الملائكة؟ فسيقول [2] بكفره ضرورة.

فيقال له: أنت زعمت ذلك جميعه، بدعواك أن الجعل لا يرد في القرآن إلا بمعنى الخلق.

وقد زيّف الله هذه الدعوى، وأبطلها بنص كتابه المبين، في عدة أماكن، يُقتصَر منها على ما يلزمك بالتوزيع على ما سألتك عليه، واعترفت بكفر من زعم ذلك في كل منها.

فمن ذلك قوله تعالى: "قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ" [3] فيجعلونه اليهود، أي يصيّرونه[4].

كُلِّ شَيْءٍ" [الزمر: ٦٢] فعقل المؤمنون عن الله عز وجل عند نزول هذا الخبر العام أنه لم يعن كلامه وقوله في الأشياء المخلوقة، لما تقدم في ذلك من الخبر الخاص أن الأشياء المخلوقة إنما تكون بقوله).

(١) سورة الزخرف، الآية (٣).

(٢) في الأصل (فيقول) ولعل ما أثبت أصوب.

(٣) سورة الأنعام، الآية (٩١).

(٤) قال ابن كثير: أي تجعلون جملتها - يعني التوراة - قراطيس، أي قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم (تفسير ابن كثير ١٥٧/٢).

Scanned by CamScanner

وكذلك قوله: "ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ "(١)(٢).

وقوله: "وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ "(٣).

وقوله: "وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا "(٤).

وقوله: "أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ " (٥).

وقوله: " وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا " (٦).

ففي كل آية من هذه الآيات ما يدل على إبطال زعمك، إذ الجعل في كل منها بمعنى التصيير، لا بمعنى الخلق (٧)، وقد اعترفت بكفر من قال إنه بمعنى

---

(١) سورة الحجر، الآية (٩١).

(٢) معنى الآية أن أهل الكتاب جزّءوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه (تفسير ابن كثير ٢/٥٥٩).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٢٤).

(٤) سورة النحل، الآية (٩١).

(٥) سورة الرعد، الآية (١٦).

(٦) سورة الزخرف، الآية (١٩).

(٧) القاعدة في هذا ما ذكر العلماء أن لفظ (جعل) لا يأتي بمعنى (خلق) إلا إذا تعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: "ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ " [الأنعام: ١].

أما إذا تعدى إلى مفعولين فلا يكون بمعنى (خلق) بأي حال، كقوله تعالى: "وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا " [النحل: ٩١] أي صيرتم.

فكذا قوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا " [الزخرف: ٣] أي صيرناه قرآناً عربياً.

انظر: كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على المشبهة لابن قتيبة ص٢٣٤، الإبانة لابن =

Scanned by CamScanner

الخلق!.

الفصل الثاني: في الرد عليه، وإبطال قوله من حيث النظر والعقل.

بأن يقال: هل خلق الله كلامه في نفسه، أو في غيره، أو قائماً [1] بذاته ونفسه؟.

فالأول محال، لأن الله تعالى لا يكون مكاناً للحوادث [2]، ولا يكون فيه شيء مخلوق، ولا كان ناقصاً فيحل شيء خلقه في نفسه[3].

والثاني محال أيضاً، لأنه يلزم عليه أنّ كل كلام خلقه في عباده [4] كلام

بطة (الرد على الجهمية) ١٥٧/٢ فما بعدها، المفردات في غريب القرآن للراغب ص٩٤، شرح الطحاوية لابن أبي العز ١٨٢/١، العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبدالله الجديع ص٣٠٨.

(١) في الأصل (قائم) وهو خطأ .

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله معلقاً ــ على من يورد مثل هذه الحجة [لو خلقه في نفسه لكان محلاً للحوادث]: (التحقيق أن يقال: لو خلقه في نفسه لكان محلاً للمخلوق، وهو لا يكون محلاً للمخلوق) ثم ذكر أن السلف والجمهور يمنعون أن يسمى كل حادث مخلوقاً).

انظر: مجموع الفتاوى ٣٢٠/٦، ٣٢١، وانظر اعتذار ابن تيمية لصاحب (الحيدة) عن مقالته – في الاحتمال الأول – التي اقتبس منها المؤلف هذه المناقشة في كتاب درء تعارض العقل والنقل ٢٥٧/٢ فما بعدها.

وعلى أي حال فإن عبارة (حلول الحوادث) ليست معروفة عند أهل السنة، ويريد بها أهل التعطيل نفي الصفات الفعلية عن الله تعالى .

(٣) في كتاب (الحيدة ص٨٣): (ولا يكون ناقصاً فيزيد فيه شيء مخلوق).

(٤) كذا في الأصل المخطوط، وفي كتاب الحيدة (غيره).

Scanned by CamScanner

الله، حتى الشعر وقول الزور [1].

والثالث محال أيضاً، لأن الكلام لا يقوم بنفسه، فلابد له من متكلم، ولا نرى الكلام يقوم بنفسه، [و] [2] يتكلم بذاته[3].

أو يقال للملحد: أتقرّ بأن الله كان ولا شيء[4]، وأنه خلق الأشياء بقدرته، وأنه لم يزل قادراً؟ وهل تقر بأنه لم يزل يفعل؟.

فإذا قال: لا، يقال له: يلزمك أنّ تقر بأنه خلق بالفعل الذي كان عن القدرة، وأنّ الفعل غير القدرة، إذ القدرة صفة له، ولا يقال: بأن صفته هي هو، ولا هي غيره [5].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – معلقاً على الاحتمال الثاني في المناظرة العقلية لعبدالعزيز الكناني في كتاب (الحيدة) التي اقتبس منها المصنف هنا: (ولا ريب أن المعتزلة يقولون: إنه خلقه في غيره، فأبطل ذلك عبدالعزيز بالحجة العقلية التي يتداولها أهل السنة، وهو أنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن القرآن كلام الله، فإن كان مخلوقاً في محل آخر لزم أن يكون كل كلام مخلوق في محل كلام الله، لتماثلهما بالنسبة إلى الله، ويلزم أن يكون ما يخلقه الله تعالى من كلام الجلود والأيدي =والأرجل كلام الله .. حتى قول الكفر والفحش) درء تعارض العقل والنقل ٢/٢٥٢ .

(٢) الواو غير موجودة في الأصل، وإثباتها أولى.

(٣) جاء بعد ذلك في كتاب (الحيدة ص٨٣): (فلما استحال من هذه الجهات، أن يكون – أي كلام الله – مخلوقاً ثبت أنه صفة لله عز وجل، وصفات الله عز وجل كلها غير مخلوقة).

(٤) جاء في صحيح البخاري عن عمران بن حصين – رضي الله عنه – أن أهل اليمن قالوا لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– : جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن هذا الأمر ما كان، فقال –صلى الله عليه وسلم– : (كان الله ولم يكن شيء قبله..) صحيح البخاري ٨/١٧٥ كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء.

(٥) قال الإمام أبو سعيد الدارمي – رحمه الله –: (لا يقال: القرآن هو الله أو غير الله، كما =

Scanned by CamScanner

ولا يلزم من ذلك ما يلزمنا به الملحد أن الله لم يزل يخلق، وأنّ المخلوق لم يزل مع الله تعالى، فنقع في المحذور.

ونرده بأن الذي نقوله: إن الله خالق، ولم يزل الخالق سيخلق، إذ الخالقية صفة له يقدر عليها، ولا مانع، وأنه أحدث خلقه بأمره [1]، وقوله، وقدرته.

ويقال له: لا يخلو أن يكون أول خلق الله تعالى بقول قاله، أو بإرادة أرادها، أو بقدرة قدّرها، فأي ذلك كان فقد ثبت أنّ ها هنا إرادة ومريداً ومراداً، وقولاً وقائلاً ومقولاً، وقدرة [وقادراً] [2] ومقدوراً عليه، وذلك كله متقدم قبل الخلق، وما كان متقدماً [3] قبل الخلق فليس هو من الخلق في شيء. انتهى.

الخاتمة: في الرد على الجهمي والقدري إنكارهما أن الله تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون، وأنّ الله تعالى قد علم ما لم يكن ولا يكون أن لو كان كيف يكون.

وذلك بقوله تعالى: "وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا

لا يقال: علم الله هو الله، وقدرة الله هي الله، وكذلك عزّته، وملكه وسلطانه وقدرته، لا يقال لشيء منها هو الله بعينه وكماله، ولا غير الله، ولكنها صفات من صفاته غير مخلوقة، وكذلك الكلام) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على المرسي العنيد ص٤٧١ (ضمن مجموع عقائد السلف).

(١) في الأصل المخطوط (نأمره) وهو تصحيف.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة على الأصل المخطوط يقتضيها السياق، وهو مثبت في كتاب (الحيدة ص٨٤) ولعله سقط سهواً.

(٣) في الأصل المخطوط (متقدم) وهو خطأ، لأنه خبر كان .

Scanned by CamScanner

وهذا مما لم يكن، ولا يكون [illegible]
منهم أن لو عادوا، والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

انتهى الكتاب فضلاً من الله تعالى ومنة على كاتبه ومؤلفه الفقير من العلم والعمل، الغني بفضل الله تعالى عن كل مؤمل وأمل:

محمد أبو المعالي بن علي بن رمضان الطوخي الوفائي الشافعي المزيدي، خادم الشرع الشريف بالقدس المنيف، في مستهل شهر رجب المرجَّب، الفرد الحرام، سنة تسع وتسعمئة بالمسجد الأقصى، الذي فضائله لا تكاد تعد ولا تحصى[٣]،

---

(١) سورة الأنعام، الآية (٢٧).

(٢) في الأصل (تكون) وهو تصحيف.

(٣) للمسجد الأقصى فضائل عديدة، منها: فضل الصلاة فيه ومضاعفتها، واستحباب زيارته حتى لو شد الرحال إليه، وإخبار الله تعالى بأنّ البركة حوله، وإخبار رسوله -صلى الله عليه وسلم- أنه ثاني مسجد وضع في الأرض، والإسراء بالرسول -صلى الله عليه وسلم- إليه ثم عروجه منه إلى السماء (انظر التبرك أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر الجديع ص١١٦- ١٢٩).

وللمزيد يرجع إلى المؤلفات عن فضائله، مثل كتاب فضائل القدس لابن الجوزي، وكتاب إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى للسيوطي، وفضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة للدكتور محمود إبراهيم.

Scanned by CamScanner

والحمد لله وحده، اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، حسبنا الله ونعم الوكيل.

Scanned by CamScanner

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- آداب الشافعي ومناقبه ــ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ــ مكتبة التراث الإسلامي في حلب، تحقيق عبد الغني عبد الخالق.

٣- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ــ الإمام ابن بطة ــ دار الراية للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، بتحقيق د/يوسف الوابل.

٤- إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ــ محمد شمس الدين السيوطي ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م.

٥- الإتقان في علوم القرآن ــ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ــ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ.

٦- الإحكام في أصول الأحكام ــ الإمام ابن حزم ــ دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ وتحقيق الدكتور محمود عثمان.

٧- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ــ الإمام عبدالله بن مسلم ابن قتيبة ــ منشأة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٧١م (ضمن مجموع عقائد السلف، نشر علي النشار وعمار الطالبي).

٨- أسماء الله الحسنى ــ الدكتور عبد الله الغصن ــ دار الوطن بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٩- أسماء الله الحسنى الهادية إلى الله والمعرّفة به ــ الدكتور عمر الأشقر ــ دار النفائس بالأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

Scanned by CamScanner

١٠- الأعلام ــ خير الدين الزركلي ــ دار العلم للملايين في بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.

١١- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ــ إسماعيل باشا ــ دار الفكر ١٤٠٢هـ.

١٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ــ الإمام محمد بن علي الشوكاني ــ دار المعرفة في بيروت.

١٣- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ــ عباس بن منصور السكسكي الحنبلي ــ دار التراث العربي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، تحقيق خليل أحمد الحاج.

١٤- التبرك. أنواعه وأحكامه ــ الدكتور ناصر بن عبدالرحمن الجديع ــ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة السادسة ١٤٢٨هـ.

١٥- التحفة المهدية. شرح الرسالة التدمرية لابن تيمية ــ فالح بن مهدي ــ مطابع القصيم بالرياض، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ.

١٦- التدمرية. تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع ــ شيخ الإسلام ابن تيمية ــ شركة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، تحقيق د/محمد السعوي.

١٧- التسعينية ــ شيخ الإسلام ابن تيمية ــ مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، تحقيق الدكتور محمد العجلان.

١٨- تفسير ابن كثير ــ الإمام إسماعيل ابن كثير ــ دار الفكر ١٤١٠هـ.

١٩- تفسير البغوي ــ الإمام الحسين بن مسعود البغوي ــ دار المعرفة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، تحقيق خالد العك ومروان سوار.

Scanned by CamScanner

٢٠- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ــ الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ــ دار الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد العزيز الشهوان.

٢١- حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة ــ الإمام ابن قدامة ــ مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، تحقيق عبد الله بن يوسف الجديع.

٢٢- الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن ــ الإمام عبد العزيز ابن يحيى الكناني ــ مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ١٤١٢هـ، تحقيق الدكتور علي الفقيهي.

٢٣- خلق أفعال العباد ــ الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ــ دار عكاظ في جدة، الطبعة الثانية، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة.

٢٤- درء تعارض العقل والنقل ــ شيخ الإسلام ابن تيمية ــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

٢٥- ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل ــ أبو عبد الله حنبل بن إسحاق ــ مطبعة سعدي وشندي بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، تحقيق الدكتور محمد نغش.

٢٦- رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد علي المريسي العنيد ــ الإمام أبو سعيد الدارمي ــ منشأة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٧١م ضمن مجموع عقائد السلف.

٢٧- الرد على من يقول القرآن مخلوق ــ ابن النجاد الحنبلي ــ دار الضياء في طنطا، تحقيق عبد السلام عمر علي.

٢٨- الرسالة ــ الإمام محمد بن إدريس الشافعي ــ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.

Scanned by CamScanner

٢٩- رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت ــ الإمام أبو نصر عبيد الله السجزي ــ دار الراية للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، تحقيق محمد باكريم باعبدالله.

٣٠- رسالة في أن القرآن غير مخلوق ــ الإمام إبراهيم الحربي ــ دار العاصمة للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، تحقيق الدكتور علي الشبل.

٣١- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ــ الإمام ابن قدامة ــ دار العاصمة بالرياض، الطبعة السادسة ١٤١٩هـ، تحقيق الدكتور عبد الكريم النملة.

٣٢- السنة ــ الإمام أبو عبدالرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل ــ دار ابن القيم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، تحقيق الدكتور محمد بن سعيد القحطاني.

٣٣- سنن ابن ماجه ــ الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ــ دار إحياء التراث العربي سنة ١٣٩٥هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٤- سنن النسائي (بشرح السيوطي وحاشية السندي) أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي ــ دار إحياء التراث العربي في بيروت، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.

٣٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ــ أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي ــ منشورات دار الآفاق الجديدة في بيروت.

٣٦- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ــ أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي ــ دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان.

٣٧- شرح العقيدة الطحاوية ــ علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي ــ مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، بتحقيق الدكتور عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط.

Scanned by CamScanner

٣٨- الشريعة ــ أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ــ دار الوطن بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، تحقيق الدكتور عبد الله الدميجي.

٣٩- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) إسماعيل بن حماد الجوهري ــ دار العلم، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، تحقيق أحمد بن عبدالغفور عطار.

٤٠- صحيح البخاري ــ الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ــ المكتبة الإسلامية بإستنبول ١٩٨١م.

٤١- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ــ علوي بن عبد القادر السقاف ــ دار الهجرة للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٤٢- العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الرديّة ــ عبدالله بن يوسف الجديع ــ دار الصميعي للنشر والتوزيع بالرياص، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

٤٣- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري ــ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٤٤- الفرق بين الفرق ــ عبد القاهر البغدادي ــ منشورات دار الآفاق الجديدة في بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ.

٤٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل ــ ابن حزم ــ دار المعرفة، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

٤٦- فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة ــ الدكتور محمود إبراهيم ــ منشورات معهد المخطوطات العربية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ بالكويت.

٤٧- فضائل القدس ــ ابن الجوزي ــ منشورات دار الآفاق الجديدة في بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

Scanned by CamScanner

٤٨- فهرس مجاميع المدرسة العمرية في دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ ياسين السواس ـ منشورات معهد المخطوطات العربية، سنة ١٤٠٨هـ بالكويت.

٤٩- القاموس المحيط ـ محمد بن يعقوب الفيروزابادي ـ دار الكتب العلمية سنة ١٣٩٩هـ، ترتيب الطاهر أحمد الزاوي.

٥٠- قصص الأنبياء ـ ابن كثير الدمشقي ـ دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع في دمشق، الطبعة السابعة ١٤١٧هـ، تحقيق علي عبد الحميد وأصحابه.

٥١- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ـ نجم الدين الغزي ـ المطبعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٤٥م.

٥٢- لسان العرب ـ محمد بن مكرم بن منظور ـ دار صادر في بيروت.

٥٣- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ـ محمد بن أحمد السفاريني ـ مؤسسة الخافقين، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٥٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ دار العربية في بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد.

٥٥- المحصول في علم أصول الفقه ـ فخر الدين محمد بن عمر الرازي ـ مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، تحقيق الدكتور طه العلواني.

٥٦- المستدرك على الصحيحين ـ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ـ دار الكتاب العربي في بيروت.

٥٧- مسند أحمد بن حنبل ـ المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

٥٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ أحمد بن محمد الفيّومي ـ المكتبة العلمية في بيروت.

Scanned by CamScanner

٥٩- معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة ــ محمد بن حسين الجيزاني ــ دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع بالدمام، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٦٠- معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ــ الدكتور محمد بن خليفة التميمي ــ دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٦١- معجم ألفاظ العقيدة ــ عامر عبدالله فالح ــ مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٦٢- معجم البلدان ــ أبو عبد الله ياقوت الحموي ــ دار بيروت للطباعة والنشر، ودار صادر في بيروت سنة ١٣٩٩هـ.

٦٣- معجم مقاييس اللغة ــ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ــ دار الفكر في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٦٤- المعجم الوسيط ــ إعداد جماعة من العلماء ــ المكتبة العلمية في طهران.

٦٥- المفردات في غريب القرآن ــ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ــ دار المعرفة في بيروت، تحقيق محمد سيد كيلاني.

٦٦- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ــ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ــ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

٦٧- الملل والنحل ــ أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ــ دار المعرفة للطباعة والنشر في بيروت سنة ١٤٠٠هـ.

٦٨- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ــ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ــ دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ، إشراف الدكتور مانع الجهني.

Scanned by CamScanner